تمهيد

قام الرأي العام ولا يزال في المجتمعات الإنسانية بأدوار محورية في تماسك تلك المجتمعات والعمل على سير واقعها، وتحديد معالمها والحرص على الإيجابيات في جوانبها المتعددة، وبالتالي التعرف على المشكلات التي تواجهها تلك المجتمعات مما يساعد على حلها عبر اتخاذ القرارات المناسبة من وجهة نظر المجتمع حيالها.

ويتم ذلك للرأي العام من خلال دعمه لخطط الدولة ومؤسسات المجتمع، وتأمين الرقابة الاجتماعية، وبناء العلاقات البينية في المدى والمستوى والطبيعة. من ثم تشكيل، وتقييم، وبلورة المواقف الفاعلة، والتصدي للأخطار سواء الداخلية منها أو الخارجية، واختيار القيادات القادرة على التطوير.

وعموماً فإن الرأي العام ينهض بوظائفه المتعددة على أساس أنه رؤى مجموعة من الناس حول قضايا ذات مصلحة أو اهتمام مشترك وغالباً يعبر هذا الرأي عن حكم قيمي أو تفضيلي، أو تقرير نتائج أحداث مستقبلية. وهو في العادة يكون رأي المواطنين البالغين لوحدة سياسية كالمدينة، أو الدولة، أو الرأي العام الدولي، أو أقل من ذلك مثل رأي عام المجموعات الفرعية للسكان.

ومن منظور شامل فلقد تنامى مفهوم ودور الرأي العام واتصاله بكثير من الأنشطة الإنسانية، وذلك منذ بدايات القرن العشرين حتى الآن - أوائل القرن الواحد والعشرين الميلادي - حيث أصبحت السلطة في العالم خاضعة للرأي العام، لا في الأحداث السياسية الصرف فحسب بل في أمور مثل وضع المرأة،

ونظام الزواج وعدد الأولاد المرغوب إنجابهم في الأسرة الواحدة، ومدة الدراسة، والتقاعد، والاستخدام، والبطالة، وكلفة المعيشة، أو تنظيم السير للسيارات، وطرق صنع الأغذية، والألبسة، والصحة، وأوقات الفراغ، واللهو، والحب، والنشاط الجنسي، وكل ما يدخل في تكوين الحياة اليومية للفرد، والناس جميعاً.

بل وعلاوة على ما سبق فإن الاهتمام بالرأي العام أخذ يزداد وذلك عبر التناول الأكاديمي وخضوع الرأي العام كظاهرة وفكر للدراسة المنهجية والبحث العلمي المنظم والذي خرج به كمجموعة تجارب من حيز التقارير الإدارية، إلى استخدام الطريقة التمثيلية للوصول إلى حقيقة الرأي العام، أو توجهاته للتعميم.

ومهما كان موضوع البحث الذي يتطرق إلى الرأي العام فهي أبحاث تبدأ بتحديد موضوع الدراسة، واختيار المصادر والتصاميم المناسبة لجمع البيانات المطلوبة وطريقة التحليل اللازمة ومن ثم إعداد التقرير المطلوب.

إلا أن هناك فارق يجب ملاحظته بين أبحاث الرأي العام التي تعنى به كظاهرة طبيعية، وبين الجهود المبذولة للتعرف على الرأي في قضية محدودة وجمهور محدد، وذلك على النحو التالي:

أولاً: تحتاج أبحاث الرأي العام التي تعنى به كظاهرة طبيعية إلى الانطلاق من فرضيات ومبادئ آخذة صفة التراكمية وصولاً إلى قواعد عامة أو نظريات ويمكن تسميتها بأبحاث أو دراسات علمية. ولعل هذا الجهد في هذا الكتاب يتخذ هذا المنحنى.

ثانياً: إن الجهود المبذولة للتعرف على الرأي في قضية محددة فإنه علاوة على تحديد القضية فإن الجهود المبذولة تهدف إلى تحديد الجهود، وإلى التعرف على

مواقف الأغلبية من القضية موضوع الدارسة، ودرجة قوة هذا الموقف. ويمكن تسمية هذه الدراسات بالاستقصاء أو المسح الإحصائي وهذا لا يعني أن استقصاء الرأي لا يكون إلا دراسة مستقلة، ولكنه قد يكون وسيلة أبحاث علمية.

وعلى العموم، فقد أثمرت الدراسات العامة، والمتخصصة، والبحوث إلى إثبات وجود ظاهرة الرأي العام منذ القدم. كما أن للظاهرة فاعلية عبر خصائص مؤثرة في المجتمعات الإنسانية.

ومن المناسب وللتوضيح أن نذكر بأن موضوع الرأي العام عند بدايات التناول العلمي له اتصل بالعديد من العلوم وفروع المعرفة مثل علم السياسة والاجتماع، وعلم النفس والاجتماعي، وكذلك الفلسفة، حتى استقر في علم الاتصال وتفرع منه في الغالب الأعم. بحيث لا يمكن تواجد الرأي العام بدون اتصال سواء من خلال علاقة الوجه للوجه، أو عبر وسائل الإعلام. حيث أضحى الرأي العام إثر ذلك علماً أو جزئية حية من علم، وتحقق ذلك عبر عمليات متواصلة من المثابرة والاجتهاد، ومن خلال البحث والاكتشاف، مما يقود إلى ما يطلق عليه المعرفة الإيجابية. أو بعبارة أخرى "المعرفة الإيجابية في مختلف الأوقات، ومختلف الأماكن".

أما عن بدايات المنهجية العلمية الحقيقية حيال تناول الرأي العام منظوراً وأهدافاً فنسجل بأنها بدأت في منتصف الثلاثينات الميلادية من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية التي كان لها نصيب الأسد في تطور الرأي العام. ولعل أبرز خطوة في هذا الاتجاه هو اجتماع ما عرف "بأعضاء الطاولة المستديرة لرابطة العلماء الأمريكيين" وكان ذلك في عام ١٩٢٥م، باعتباره أول محاولة جادة

للوصول إلى تعريف الرأي العام حيث لم يتوصل العلماء المجتمعون حينـــذاك إلى نتيجة حاسمة، حيال إيجاد التعريف العلمي، وانقسموا إلى (٣) مجموعات هي:

١- مجموعة تشك في وجود رأي عام.

٢- مجموعة تقبل وجود الرأي العام. ولكن تشك في قدرتها على تعريفه.

٣- مجموعة أعطت الرأي العام تعريفاً لكن لم تصل إلى اتفاق تـــام حيـــال التعريف الذي تم تبنيه.

وعموماً فإن الفترة بين ١٩٢٠-١٩٣٠ م شهدت البداية الحقيقية لما يمكن أن نسميه بالدراسة للرأي العام حيث اتخذت أشكالاً متعددة تغطي الموضـــوع مثل الكتابات الأساسية في النظرية العامة للرأي العام بقلم نورمان إنجل، وولتر ليبمان وغيرهم، بجانب إضافات قيمة في دراسات الصحافة فظهرت أهمية دراسة وسائل التأثير الجماهيري.

كما شهدت الفتـــرة نفـــسها- ١٩٢٠-١٩٣٠ م -الاهتمـــام الواســـع بالدراسات الإحصائية للرأي العام، ومحاولات قياس الآراء ، والتركيـــز علـــى الطرق الكمية في هذه القياسات. وقائمة المشتركين في هذه البحـــوث طويلـــة منهم ثورستون، البورت، ريوجازدس، وغيرهم من الدارسين في فـــروع علـــم النفس والاجتماع والتاريخ، والاقتصاد ... كسيجمند فرويد، ما خلوف، جون ديوي، وجراهام دالاس.

أما في الأربعينيات من القرن الماضي الميلادي فقد تم إنـــشاء دراســـات منهجية عن الرأي العام في عدد من الجامعات الأمريكية مثل جامعة شـــيكاغو، كما ظهرت مجلة الرأي العام الفصلية Public Opinion Quarterly وذلـــك بجامعة برنستون. كما بدأت تظهر معاهد قياسات ومسح الرأي العام Public

Opinion Polls & Survey، وقام جالوب، وروبر، وكروسالي باستخدام طرقاً علمية أكثر دقة من ذي قبل بالنسبة لقياسات الرأي العام.

وتركزت مجالات دراسة الرأي العام في النصف الآخر من الأربعينيات إلى مسح الرأي العام، ووسائل الاتصال، والرأي العام والسياسة الخارجية.

أما في الخمسينيات وما بعدها فقد أصبح تركيز باحثي الرأي العام ينصب على دراسة وسائل الاتصال الجماهيري وبالذات التلفاز.

ومع بدايات عام ١٩٦٥م ، أضحى قياس الرأي العام مستخدماً من قبل ٤٠ دولة خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وتعد فرنسا، وألمانيا الاتحادية، واليابان من أكثر الدول المتقدمة التي لجأت إلى الاستعانة بقياس الرأي العام في العديد من القضايا في هذه الدول، كما أن قياس الرأي العام أخذ بالانتشار في الدول النامية مثل اندونيسيا.

كما قامت خطوات جادة لجعل تناول الرأي العام أكثر علمية ، وذلك مثل ما ذهب إليه فلويد البورت في مقالة له بعنوان "نحو علم الرأي العام " حيث تنبه إلى وجوب استبعاد ثمانية محاذير عند تناول الرأي العام، إذ بذلك الاستبعاد نضمن نقاء منهجية التناول، وهذه المحاذير هي:

١- شخصية الرأي العام.

٢- شخصية العام.

٣- خداع الجماعة مع العام.

٤- خداع المضمون الجزئي في استخدام "مصطلح العام".

٥- الكيان التصوري.

٦- إنتاج الجماعة.

٧- النظرية المدحية.

٨- اختلاط الرأي العام مع الحضور العام.

إنه وبالنظرة الشاملة للنقاط الـ٨ السابقة، وبدون النظر إلى كل منها على حده فإننا سنجد أن هناك قاسماً مشتركاً لها. وأن هناك رأياً عاماً له كيان مستقل، وله رديف، مما يدفعنا إلى تمييزه ثم التعامل معه موضوعياً بما يبين مكوناته وطرق تآلفها، وآلية عملها، استناداً إلى التطور التاريخي عبر الزمان، والمكان، وعبر الأفراد والجماعات المختلفة.

كما أن توضيح استقلال الرأي العام، أمر هام في تحديد عملية تفاعله مع الأنشطة الإنسانية الأخرى فيصبح التفاعل مفهوماً، ويخضع للتحكم الواعي لظاهرة تقبل الدراسة والبحث المنهجي، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى معرفة الأسباب لحدوث الرأي العام وتوقع النتائج وحسابها بدقة مما يقود إلى غياب المفاجأة قدر الإمكان، خاصة إذا كان قياس الرأي العام يخضع لميكانيزم القياس الذي بلغ درجة متقدمة من التطور في الوقت الحالي.

ويضيف البورت بأن هناك قاسماً مشتركاً لعدد من الظواهر التي تجتمع وتشكل الرأي العام واعتباره سلوكاً فورياً ، وهذه الظواهر هي:

١- الرأي العام هو سلوك إنساني صادر عن أفراد.

٢- إنه يحتوي على التعبير اللفظي.

٣- يتم التعبير عن الرأي العام من خلال العديد من الأفراد.

٤- يتم توجهها نحو أهداف أو أوضاع معروفة.

٥- إن موضوع الرأي العام يهم العديد من الناس.

٦- هو فعل أو استعداد لفعل يتوافق مع الهدف المشترك.

٧- يحدث الرأي العام في إطار الثقافة الجماعية فتكون ردود فعل الآخرين لنفس الوضع بتصرف مناسب.

٨- إن الاتجاهات أو الآراء المتضمنة في الرأي العام يتم التعبير عنـــها، أو على الأقل يكون هناك استعداد للتعبير عنها.

٩- يعبر الأفراد عن السلوك اللحظي بحضور أو عدم حضور الآخر.

١٠-قد يحوي الرأي العام الألفاظ الدائمة والأخرى المؤقتة.

١١-الرأي العام بطبيعته يكون من الجهود الحاضرة أو المعارضة لشيء ما.

١٢-يكتسب الرأي العام شخصية الصراع من الأفراد الذين انحازوا للاتجاه المعاكس.

١٣-يتميز الرأي العام بأنه قوي للغاية ومتعدد على اعتباره سلوكاً مشتركاً ليعطي أبرز الاحتمالات التي قد تكون فعالة في تحقيق أهدافها.

إن استبعادات البورت الـــ(٨) ،والقاسم المشترك للرأي العـــام الـــــ(١٣) السابقة تعطينا صورة واضحة لهيكل الرأي العام، وجذور تكوينه ومـــسار حركته، ومدى فاعليته وتفاعله ومن ثم فعله وإن كان ذلك بشكل أولي.

ولكنه في رأينا، يكفي لفهم مفهوم الرأي العام. وإعطاء تعريف له، الذي قد يخص في أن مصطلح " الرأي العام " يعطي معناه بالإشارة إلى وضـــع متعـــدد الأفراد حيث يعبرون عن أنفسهم، أو بإمكانهم التعبير عن ما يحبون أو يدعمون أو العكس، مما يؤدي بناءاً على عدد أفرادها، وكثافتها، واستمراريتها، إلى زيادة احتمال تأثير الفعل بشكل مباشر أو غير مباشر حيال الهدف المقصود.

إلى هذا الحد فإننا أمام موقف العلم تجاه الرأي العام بشكل إجمالي مع التطـــرق إلى بعض تفاصيل عن الرأي العام، وأن الدمج بين العلم والرأي العام يهدف إلى

التأكيد بأن حديثنا عن الرأي العام إنما تتم معالجته بأسلوب يستند على دراسات وبحوث تخضع للتناول المقنع عقلياً، وذو مردود عملي على أرض الواقع.

- أما فيما يتعلق في طبيعة العلاقة وماهية الارتباط بين الرأي العام باعتباره نشاطاً إنسانياً هادفاً، وبين المملكة العربية السعودية فهي علاقة مزدوجة وذلك على النحو التالي:

١- إن الرأي العام يتعامل مع المملكة العربية السعودية على أساس أنها بنية قيمية (حيث يشكل الإسلام الإطار المرجعي للمملكة وأفرادها ، وجماعاتها ومؤسساتها، روحياً، وفكرياً، وأخلاقيا..).

٢- ومن منظور أخر فإن الرأي العام يتعامل مع المملكة العربية السعودية كبنية مادية وتقوم (على أرض، وشعب، ونظام سياسي)

- أما منهج هذا الجهد الذي يتناول (دراسة أولية للرأي العام و رؤية سعودية) فسوف ينطلق من فرضية Hypothesis، مؤداها أن هناك رأي عام سعودي يتميز بالفاعلية، هادفين إلى التثبت من هذه الفرضية.

كما يهدف هذا الجهد إلى أن يأخذ الواقع السعودي – خاصة إذا استطعنا إثبات الفرضية المشار إليها – نصيبه من البروز والإنصاف في مجال الرأي العام خاصة مع انتشار أجواء وقواعد العولمة Globization منذ تسعينيات القرن الميلادي الماضي، حيث هناك قواعد جيدة يجب التمسك بها، وقواعد أخرى غير ذلك.

كما يهدف هذا الجهد في هذا الكتاب وفي جانب منه إلى تسليط الضوء حول ما يثار بين حين وآخر حول ديمقراطية اتخاذ القرار الجماعي في المملكة العربية السعودية. وعن استمزاج رأي المواطنين في المملكة حيال شئونهم بصورة

عامة. خاصة إن الاهتمام السعودي الفعلي كان وراء إنشاء الدولة الـسعودية الثالثة ثم أعقب ذلك صمت طويل وإن بدا الاهتمام في المملكة العربية السعودية مؤخراً.

كما يهدف هذا الجهد إلى المشاركة في بث ثقافة الرأي العام خلال المجتمـع السعودي.

وسنلجأ في هذا الجهد إلى اعتماد أسلوب الاستنباط الاستقرائي في تناولنا للرأي العام السعودي وذلك باستخدام منهج التحليل الكيفي (Quality Analysis) للحصول على النتائج المتوخاة، مما سيجعل هذا الجهد مكتبياً في المقام الأول.

وكنتيجة لما سبق، فإنه لن يتم اللجوء للأسـلوب الميـداني ، وذلـك نظـراً لإمكانيات الباحث المحدودة من جهة، وإلى عدم وجود دراسات، ومسوحات، واستطلاعات، وبحوث علمية وافرة للرأي العام في المملكة العربية السعودية من جهة أخرى.

وسوف ينقسم هذا الكتاب إلى ٣ أبواب رئيسة كالتالي:

الباب الأول: وهو دراسة أولية للرأي العام، وهو يهدف إلى التعرف بـصورة شاملة على الرأي العام مما يمكن الدارس لمعرفة الأرضية العلمية التي ينهض عليها الرأي العام بصفة عامة. ومما يشكل دلالة فعلية على الرأي العام السعودي.

الباب الثاني: وهو رؤية سعودية حيث سيتم إلقاء الضوء على واقع، ومكونات، وتكون، وخصائص، ووظائف (الرأي العام السعودي) مع ملاحظة هامة، وهو أننا سنلجأ إلى قضية رأي عام في المجتمع السعودي، وهي بإيجاز:

(موقف الرأي العام السعودي حيال رسوم مسيئة لمقام النبي محمـد ﷺ في صحيفة جيلاند بوستن الدانمركية بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٣٠م مما أستدعى رد فعـل

رسمي وشعبي، وقيام رأي عام مناهض للإساءة إلى الرسول الكريم اتخذ طابع الشجب والإدانة اللفظية، والاحتجاج الإعلامي، ومقاطعة المنتجات الدانمركية، مما أدى إلى اعتذار الحكومة الدانمركية رسمياً، وقيام العديد من الجماعات في المجتمع المدني الدانمركي باستنكار ما ذهبت إليه الصحيفة الدانمركية) معتمدين في ذلك على الملاحظة المتولدة من معايشة الوجود الفعلي للرأي العام في المملكة العربية السعودية ولعلاقاته المتفاعلة.

كما يمكن الرجوع إلى موقع الإنترنت WWW.arab-blogspot + www.Islamonline.com .

موقع: www.hewaraat.com وموقع www.factjo.com وصولاً إلى فهم أفضل للرأي العام السعودي خاصة في تبيان كل (من تكون – خصائص – وظائف الرأي العام).

الخلاصة: وهي رؤية عامة مستقاة من البابين (الأول والثاني) وتهدف إلى توقع نوع وشكل العلاقة بين الرأي العام عموماً، والمجتمع السعودي خاصة.

وسنضمن آخر هذا الكتاب مجموعة من الملاحق التي ستساعد في فهم أفضل لموضوع الكتاب.